بإيراد المقدمات والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال الأمم الماضية ولما كانت البغتة ظهور الأمر من غير ظهور أمارة وشعور به جعلت قسيم جهرة كأنه قيل خفية أو جهرة ثم انه تعالى استبعد إعراض المشركين عن التأمل في الآيات التي بينها الله وكرر إيرادها على الوجوه المختلفة مع هذه المبالغة في إيضاحها وتقريرها و عجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إعراضهم فقال ثم انظر يا محمد انهم يصدفون أي يعرضون وللمبالغة في استبعاد إعراضهم قدم الضمير على الفعل المضارع وصيرت جملة اسمية أي هم الذين تكررت عليهم الآيات على وجوه مختلفة لا غيرهم هم يجددون الإعراض دائما مع تحقق التصريف من جهتنا فما أبعد حالهم عن فعلنا بهم وكيف في قوله انظر كيف نصرف معمول نصرف ونصبها إما على التشبيه بالحال أو التشبيه بالظرف قوله من غير مقدمة أو بأن يتقدمها أمارة تؤذن بحلوله جواب عما يقال كيف جعل قوله جهرة قسيما لقوله بغتة مع أنه لا مقابلة بينهما وتقرير الجواب أن العذاب الذي يأتي فجاءة من غير أن يسبقه علامة تؤذن بحلوله ولما كان في معنى الخفية حسن أن يذكر جهرة في مقابلته قوله بغتة أو جهرة معناه ليلا ونهارا قيد عليه الأول أولى لأنه لو جاءهم العذاب ليلا وقد عاينوا أمارة قدومه لا يكون مجيئه بغتة ولو جاءهم نهارا وهم لا يشعرون به لا يكون مجيئه جهرة والفرق بين هذه الآية والآية الأولى أنه تعالى بين بالآية الأولى تفرده بإفاضة ما هو أجل النعم وأقرب الوسائل إلى تحصيل الكمالات الإنسانية وهو السمع والبصر والقلب وبين بهذه تفرده تعالى في دفع جميع أنواع العذاب والمعنى أنه لا دافع لشيء من أنواع العذاب ولا مفيض لخير من الخيرات إلا الله تعالى فمن جعل بكونه منفردا بكونه معبودا أو لا يعبد شيئا سواه قوله ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب إشارة إلى جواب ما يقال من أن العذاب إذا نزل بقوم يصيبهم جميعا ولا يختص بالظالمين منهم فما وجه الحصر في قوله هل يهلك إلا القوم الظالمون وتقرير الجواب أن الهلاك وإن عم الأبرار والأشرار منهم إلا أن هلاك الأشرار منهم إنما هو لأجل سخط الله عليهم وإرادة تعذيبهم بخلاف هلاك الأبرار منهم فإن هلاكهم ليس هلاك سخط وتعذيب بل هم يستحقون بسبب نزول ذلك العذاب بهم مثوبات ودرجات رفيعة عند الله تعالى فالهلاك في الحقيقة مختص بالظالمين فإنه إذا نزل البلاء بهم فقد

[illegible] العذاب الذي يتقدمه أمارة تؤذن بحلوله
[illegible] له الجهرة بالنسبة إلى ما يتقدمه
[illegible] الأمارة وإلا لم يقابل الجهر هو
[illegible] ية لا البغتة وقال الحسن قوله
[illegible]

فقد خسروا الدنيا والآخرة معا قوله ولذلك أي ولكون الاستفهام في قوله هل يهلك بمعنى النفي وكون المعنى ما يهلك يصح الاستثناء المفرغ منه فإن عدم ذكر المستثنى منه إنما يصح إذا كان الكلام غير موجب ولا يصح في الموجب فلا يقال جاءني إلا زيد لعدم صحة المعنى لاستحالة أن يجيئك أحد إلا زيد فههنا لما لم يذكر المستثنى منه دل ذلك على أن الاستفهام بمعنى النفي وهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لأرأيتكم والأول محذوف والمعنى أخبروني عذاب الله إن أتاكم هل يهلك الحق وقرأ ابن محيصن هل يهلك على بناء الفاعل قوله وما نرسلهم ليقترح إشارة إلى أن هذه الآية أيضا لقبائح المشركين وتوبيخ لهم متعلقة بقولهم لولا نزل عليه آية من ربه وجواب عن قولهم هذا بأن المرسلين لم يبعثوا إلا للدعوة إلى الحق بتبشير من أطاع ربه بالثواب العظيم وإنذار من عصاه بنار الجحيم لا ليقترح عليهم ويتلهى بهم أي يسخر منهم ويلعب بهم يقال تلهى بفلان إذا سخر منه ولعب به وليس إظهار الآيات والمعجزات بأيديهم بل هو في يد الله تعالى يظهرها إذا شاء بمقتضى حكمته وقوله تعالى إلا مبشرين ومنذرين مستثنى مفرغ من أعم الأحوال أي ما نرسلهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم مبشرين ومنذرين وأشار بقوله وما نرسلهم ليقترح عليهم إلى أن معنى الحال فيهما العلية كأنه قيل ما نرسلهم بحكمة من الحكم إلا لحكمة التبشير والإنذار لا لأن يقترح عليهم الآيات ثم ذكر ثواب من صدق بهم وآمن فقال فمن آمن وأصلح الآية قوله جعل العذاب ماسا بهم جواب عما يقال المس لكونه من الأفعال المسبوقة بالقصد والاختيار حقه أن يسند إلى الأحياء فكيف أسند إلى العذاب وتقرير الجواب أنه من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه العذاب بالحي فبينهما مضمرا في النفس ودل عليه بإثبات شيء من لوازم المشبه به له وهو إسناد المس إليه كما في قولك أنشبت المنية أظفارها قوله واستغنى عن التوصيف يعني أن العذاب المفرع على تكذيب آيات الله والعذاب الفريد الهائل لا مطلق العذاب فكان مقتضى الظاهر أن يوصف بما يدل على الشدة والفظاعة إلا أنه لما ذكر معرفا باللام فهم منه أن المراد العهد الخارجي استغنى عن توصيفه قوله بسبب خروجهم عن التصديق بخروج الشيء بالخروج من التصديق بالنظر إلى وجوده بخصوصه وهو كون الكلام في الذين كفروا بآيات الله ثم لم يكن مكذبا بالآيات لا يلحقه هذا الوعيد فلم تكن الآية حجة للمعتزلة فيما زعموا في وجوب عقاب الفاسق حيث قالوا إنه تعالى علل عذاب الكفار بكونهم فاسقين فلزم منه أن كل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)